

إشكالية (الشخصية السردية) في كتاب (في نظرية الرواية) لعبد الملك مرتاض
- قراءة مصطلحية مفهومية -

أ / بوجمليين مصطفى

جامعة قاصدي مرباح ورقلة (الجزائر)

Abstract:

The authority (the term narrative) remain hostage to the cognitive theory that conceptually erected a fence to him, set and gives specialized names. Based on this, we sought in this article to provide a critical reading of one of the most prominent terms of narrative in the book (in the theory of the novel) by (Abd elmalik Mortadh), of (personal narrative); as an essential narrative component.

Key words: term narrative , cognitive theory, personal narrative .

Résumé:

L'autorité du terme narratif reste prisonnier de la théorie cognitive qui a érigé une clôture conceptuellement à lui et elle chercha à lui cristalliser et donner des titres relevant. Alors, base, nous cherchons dans cet article a fournir une lecture critique de certains importants termes de narration dans le livre (dans la théorie du roman) par (AbdouElMalikMourtad), et qui est représentatif par (la personnalité narratif); car elle est un composant narratif principal .

Mots clé : terme narratif , théorie cognitive, la personnalité narratif .

ملخص :

إنَّ سلطة (المصطلح السردية) تظل رهينة النظرية المعرفية التي أقامت سياجا مفهوميا له ، فسعت إلى بلورته وإعطاء مسميات يختص بها .

انطلاقا من ذلك سعينا في هذه المقالة إلى تقديم قراءة نقدية لأحد أبرز المصطلحات السردية في كتاب (في نظرية الرواية) لعبد الملك مرتاض) ، والمتمثلة في (الشخصية السردية) ؛ حيث إنها تحتل موقعا مهما باعتبارها أبرز المكونات الأساسية للنص السردية .

الكلمات المفتاحية : المصطلح السردية، النظرية المعرفية ، الشخصية السردية .

لقد أضحت معرفة سيرورة النقد الأدبي العربي الحدائري رهينة الكشف عن مرجعيات التأصيل المعرفي التي استوت على قاعدتها النظرية النقدية الحدائية ، والتي أفرزت سيلا مصطلحيا رافدا من حقول معرفية متباينة.

لعلّه من الضرورة بما كان أن يضحى المشتغلون على مثل هذه النظريات متسلحين بمنظومة معرفية تفتح بالعلمية الرصينة، تخول لهم بإطلاق المسميات على المفاهيم الوافدة.

على هذا فإن النظر في قراءات النقاد الحفرية لتلك المنابع الفكرية والمعرفية وغيرها التي كانت حاضنة لهذه المصطلحات أضحت ضرورة ميسرة للغاية، ما دامت الحدود المفهومية منبثقة من رحم المرجعية التأصيلية.

إنه لمن نافلة القول أن نؤكد على قيمة النظريات النقدية الغربية الوافدة على الساحة النقدية العربية ، والتي كانت أبرزها (نظريات السرد) ؛ التي اجتاحت المنجز النقدي العربي بقاموس مصطلحي اتسم بالغازرة، فأضحت لغته مطلباً يتشدد له النقاد العرب ، فألفوا من خلاله مدونات نقدية تنقل هذه المصطلحات ومفاهيمها المتعددة حسب مشاربها ومنابعها التأصيلية في مسعى نحسبه حواريا مع المنجز النقدي الغربي .

لا محالة أن تحمل مصطلحات (نظريات السرد) هذه الأهمية باعتبارها لبنات العمل السردية ، الذي يشكل من خلالها وجوده النصي، وهي بذلك ليست «عرضا زائدا، فالنص يبني معانيه استنادا إليها، إنها الشكل الذي من خلاله يتخذ المعنى حجما».(1)

إن قصدية الكشف عن الحدود المفهومية لتلك المشكّلات (التقنيات) السردية مرده إلى الأهمية التي حظي بها المكوّن السردية داخل نظريات السرد ، التي عكفت على النبش في جوهره وإجلاء ماهيته باعتباره عمود النص السردية ، الذي يمثل ذلك «العمل الإبداعي الذي ينطوي على مكونات وسمات عامة متفق عليها في الميثاق السردية باصطلاح فليب هامون».(2) على أننا لا نجد صورة نهائية متكاملة للمشكّلات السردية التي أشار إليها (فيليب هامون) وجعلها تأخذ طابعا متفقا عليه ، والذي اصطلح عليه الناقد —(الميثاق السردية) ؛ لأن صورة النقد السردية لا زالت تعج بتقلبات رهيبية ولم تجد استقرارا على أرضية متماسكة من المفاهيم الواضحة والمصطلحات المتفق عليها من لدن العارفين بشؤون نظريات السرد الحديثة .

من هنا حرص منظرو السرديات - أو السردانية بالاصطلاح المرتاضي - على سير أغوار هذه المصطلحات السردية ورسم حدودها وتحديد وظائفها ، إذ نجد من جملة قضاياها « موقع الراوي السارد وعلاقته بالمؤلف والشخصيات (...) وضمائر السرد، وقضايا اللغة المستعملة في السرد».(3)

عليه فإن مهمتنا في هذه الورقة البحثية تكمن في استقصاء أحد أبرز (المصطلحات السردية) والتمثلة في (الشخصية السردية) ، عبر التطرق إلى إشكالاتها المصطلحية والمفهومية في الأقوال النقدية المختلفة ، ثم النظر في القراءة النقدية لها عند الناقد (عبد الملك مرتاض) في مدونته الموسومة —(في نظرية الرواية) قصد الكشف عن إشكالاتها المصطلحية عنده ، والنظر في تجاذبات المفاهيم التي تتجمع في مداراتها ، وبيان ذلك الآتي :

لقد ظلّ مشكّل (الشخصية) أبرز المباحث السردية المستعصية داخل حيز الإنشائية، فالتبست بذلك مصطلحاته الدالة عليه، واكتنف الغموض الرؤى النقدية التي تكابد جاهدة لرسم حدوده وسير أغواره المفهومية.

فأما عن الحدود المفهومية المتعلقة بمصطلح (الشخصية) ، فإنها كثيرا ما تدمج مع مصطلح (الشخص)؛ لأنهما يخلقان وشائج قريبي في تضاففهما مع بعض ، أضف إلى وجودها في حقول معرفية عديدة .

بما أن التحري عن مفاهيمها اللغوية قد أضحى مطلباً هاماً فإننا ركنا إلى معاجم لغوية؛ من مثل (المعجم الوسيط) الذي يعرف (الشخصية) على أنها «صفات تميز الشخص من غيره. ويقال فلان ذو شخصية قوية: ذو صفات متميزة، وإرادة وكيان مستقل». (4)

أما مصطلح (الشخص) فإنه ورد في (لسان العرب) وفق التحديد الآتي: «الشخص: كل جسم له ارتفاع وظهور، والمراد به إثبات الذات، فاستعير لها لفظ الشخص». (5)

في حين أن دلالة (الشخص) تتحول في معجم (بطرس البستاني) لتدل على «الجسم الذي له مشخص وحجمية، وقد يراد به الذات المخصوصة، والهيئة المعينة في نفسها تعييناً يمتاز عن غيره». (6)

ونخلص من هذه التعاريف التي حددت مفهوماً مصطلحي (الشخصية / الشخص) إلا ما يشبه التوافق بينهما؛ إذ إن الهيئة التي تعين الشخص وتجعله مميزاً عن غيره - والتي أشار إليها البستاني -، لا تكاد ترقى عن مفهوم الشخصية الذي ورد في (المعجم الوسيط) باعتبار أنها حاملة لصفات وميزات تفتقر من شخص لآخر، وبذلك فكلا المصطلحين اصطلاحاً مفهوماً بسمه الميزة المغايرة أو الشكل المختلف - إن صح الاصطلاح - .

لأهمية مشكل (الشخصية) داخل العمل السردى، فقد دعت الناقد (إيف روتير) إلى أن يعتبر «كل قصة هي قصة شخصيات». (7)

لعل إقرار (روتير) بالوجود القسري للشخصية داخل القصة، في إشارة ضمنية مؤداها أن لا قصة بدون شخصيات، فإن (ج. م. آدم) (Jean Michel Adam) لا يبتعد كثيراً عن هذه الرؤية، لكنه يركز على صدارتها باعتبارها المكون الرئيس الذي تتعالق من خلاله المشكلات السردية الأخرى، وبالتالي يخلق التضام والانسجام بينهما، وهذا ما يفهم - في نظرها - من قوله: «إن الشخصيات تمثل المبدأ الأول في ائتلاف عناصر القصة وانسجامها». (8) بينما نجد الناقد الفرنسي (رولان بارت) يبطل هذا الزعم الذي يمنح الشخصية الصدارة ويرهن وجود السرد بوجودها القسري، منطلقاً في رأيه هذا من الشعرية الأرسطية القديمة، إذ يقول: «إن مفهوم الشخصيات في الشعرية الأرسطية لأمر ثانوي، وهو يخضع خضوعاً كلياً لمفهوم الفعل». (9)

لا نحسب - في رأينا - أن الناقد كان موجهاً عدسته النقدية إلى الشخصية بذاتها انطلاقاً من الرؤية الأرسطية؛ لأن هذا الأخير قد أشار إلى هذه المسألة انطلاقاً من فكرة (المحاكاة) التي تتعلق عنده بمحاكاة أفعال الأشخاص لا محاكاة الأشخاص أنفسهم، ولعل هذا الغموض المصطلحي يعود إلى النظرة الأحادية التي تراهن على الشخصية انطلاقاً من تمثيلها الفيزيقي وإصاق الطبائع بعيداً عن كينونتها النصية، أو الذين يجعلون منها دالاعلامياً يتخذ له مكاناً دخل البناء النصي السردى .

أما في ميدان (علم النفس) فإن مصطلح (الشخصية) يعرف بأنه «ذلك المفهوم أو ذلك الاصطلاح الذي يصف الفرد من حيث هو كل موحد من الأساليب السلوكية أو الإدراكية معقدة تتميزه على غيره من الناس». (10)

في سياق الحديث عن (الجانب السيكولوجي) للشخصية، فإننا نظفر برؤية مهمة لـ (فيليب هامون) حيث يقول: «لم تؤسس النماذج الأدبية الأكثر تطوراً، (أرسطو، لوكاتش، فراي) إلا على نظرية شبه واضحة للشخصية (البطل الإشكالي أو غير الإشكالي) (...)، والذي ما يزال سائداً لحد الآن هو النموذج السيكولوجي». (11) إلا أن تثبيت النموذج

السيكولوجي وجعله لصيقا بالشخصية قد لا يسعف في إضاءة حدودها وماهيتها في نظر الناقد الفرنسي (جيرار جنيت) ، الذي أراح المبدأ السيكولوجي عنها ، في مقاله الذي حمل عنوان " المحتمل والتعليل " الذي نشر في العدد الحادي عشر من مجلة (تواصلات) 1998، حيث ربط الناقد الجانب السيكولوجي بالقارئ وليس بالشخصية، إذ إن «السيكولوجية لا توجد في الشخصيات، وإنما في إدراك القارئ لنوع من (الأثر / النص) (...)، ويبدو هذا الأثر من خلال إقامة وشرح رابط منهجي بين السبب والنتيجة ما بين الأفعال والشخصيات». (12)

من زاوية أخرى ارتأى بعض النقاد استلزام مقولات (الشخصية) ليمثلوا لها بمصطلحات أخرى من مثل: البطل، الفاعل، الشخص، علامة ... وغيرها، أو بنفيها والخلوص إلى (اللا شخصية) (*) - وفق تصور (فيليب هامون) - .

أما (البطل)(Hero/Héros) فقد كان يمثل قديما «شخصا مقدسا، بل كانوا يظنون أنه أحيانا من سلالة الآلهة، وكأنه هبة تهبها لهم، حتى لا يفجوا فريسة لمن سواهم، وحتى لا يسقطوا في مهاوي لا قرار لها من الاضمحلال والفاء». (13) ويعرفه (لطيف زيتوني) وفق التحديد الآتي : « شخصية أسطورية قادرة على أن تغير نفسها وتغير العالم حولها، فهو يتحدر من الميثية ويعيد خلقها بأشكال تناسب العصر الذي هو فيه ». (14)

يبدو أن الناقد يعمد إلى أقلمة مصطلح (البطل) في دائرة الميثولوجيا القديمة التي تتصارع بها القوى الخارقة في فضاء خيال مجنح . وحرصا منه على أن لا يدع مساحة للقارئ للتساؤل عن مصير الشخصية وفق تحديده المفهومي الذي خص به (البطل)، فإنه أشار إلى مبدأ الافتراق والتميز بينهما قائلا: «الشخصية الرئيسة تكتسب صفتها من دورها داخل الرواية، أما البطل فتكتسب صفته لا من دوره فقط ، بل من خصاله أيضا ». (15)

بما أن هذا التعريف قد أحالنا إلى مصطلح (البطل) فأشار إلى مبدأ مهم يقوي حضوره داخل الرواية والتمثل في الخصال والميزات التي تكون لصيقة به، فإن الناقد (عبد الملك مرتاض) يذهب إلى غير ذلك ؛ إذ ينفي وجود شخصية (البطل) داخل المنجز الروائي؛ لأنه موكل بجنس الملحمة ، وهذا ما نلمحه جليا في قوله: «الشخصيات في الملحمة أبطال ، وفي الرواية كائنات عادية ». (16)

أما (السيد إمام) فإنه يجعل من الفاعل (Agent) رديفا للشخصية (Character) فهو عنده « كائن بشري مؤنس ، يقوم بأحد الأفعال أو الأعمال ». (17)

بعد هذه القراءة المسحية لمشكل (الشخصية) في المعاجم المصطلحية والمدونات النقدية السردية، فإننا سنلج إلى المفاهيم التي خصها (عبد الملك مرتاض) لهذا المبحث السردية المهم .

لقد أفرد الناقد (عبد الملك مرتاض) لمكوّن (الشخصية) موقعا مركزيا ؛ إذ أضحت عنده بؤرة لها الهيمنة الخاصة ، ومن خلالها تنتشر سائر المشكلات السردية الأخرى ، التيلا تتطلق على أرضية المنجز السردية إلا بوجودها ، « فلا الزمن زمن إلا بها ومعها ، ولا الحيز حيز إلا بها، حيث هي التي تحويه وتقدره لغاياتها، على حين أن اللغة تكون خدما لها وطوع أمرها ». (18)

لعلنا نجد في هذا الموقف الذي أفرد الناقد للشخصية حكما قطعيا صريحا ، ينتصر فيه الناقد لأحد أهم المصطلحات السردية التي تتعالق بها سائر المكونات السردية الأخرى فتقع داخل مظلتها .

إنّ ما يدعّم هذه الرؤية هو عثورنا على تبرير مواز لمقولة (عبد الملك مرتاض) الأنفة، إذ جلى هذا المشكل السردي العجيب بشيء من الإسهاب والوصف الانسيابي البديع، وكأنّ بالناقد يطمح إلى تثبيت قاعدة سردية مؤداها أن أقول الشخصية وغيابها يستلزم حتما الإقرار بالبلا روائية . إذ نلمحه قائلا: « لا أحد من المكونات السردية الأخرى يقتدر على ما تقتدر عليه الشخصية ، فاللغة وحدها تستحيل إلى سمات خرساء فجّة لا تكاد تحمل شيئا من الحياة والجمال. والحدث وحده وفي غياب وجود الشخصية يستحيل أن يوجد في معزل عنها، لأن هذه الشخصية هي التي توجد، وتنهض به نهوضا عجيبا. والحيز يخمد ويخرس إذا لم تسكنه هذه الكائنات الورقية العجيبة : الشخصيات» .(19)

عليه، فإننا سنخرج إلى رؤية (عبد الملك مرتاض) لهذا المبحث السردى، فنسوق المصطلح الأنسب الذي ارتضاه لها وأقر بتبنيه بديلا عن مصطلحات أخرى، ونكشف عن مفاهيمها عنده والتي تنزع إلى مراجع تأصيلية لاقت القبول عنده.

لقد استهل الناقد حديثه عن هذا المبحث السردى المهم ببسطه مهادا تفصيليا يوضح من خلاله مسألة تعالق الشخصية بالأيدولوجيات والحضارات والتاريخ ، مشددا في ذلك على مبدأ وجودها الفعلي في الرواية التقليدية ، التي تمثلها أعلام روائية من مثل (كافكا) ، (بالزاك) ، (إميل زولا) ، (نجيب محفوظ) ... وغيرهم .

يصرّ الناقد على مبدأ تعامل الرواية التقليدية مع (الشخصية) على أساس أنها «كائن حي له وجوده الفيزيقي، فتوصف ملامحها، وقامتها، وصوتها، وملابسها» .(20)

يمضي (عبد الملك مرتاض) في معرض الدفاع عن مصطلح (الشخصية) بدل الإفصاح بـ(دال) (الشخص)، انطلاقا من ركونه إلى المعنى الشائع لدى الطبقة العامية ، إذ يقول في هذا الشأن: « وأيا كان الشأن، فإن المصطلح الذي نستعمله نحن مقابلا للمصطلح الغربي هو "الشخصية"، وذلك على أساس أن المنطق الدلالي للغة « Personnage » العربية الشائعة بين الناس يقتضي أن يكون "الشخص" هو الفرد المسجل في البلدية (...) والذي يولد فعلا ويموت حقا، بينما إطلاق الشخصية لا يخلو من عمومية المعنى في اللغة العربية ، زئبقي الدلالة» .(21)

ثم ما يفتأ الناقد أن يوضح ظلال كل من المصطلحين (الشخص/ الشخصية)، في رغبة منه إلى وضع حدود مفهومية تختصان بها، وهذا ما أوضحه (عبد الملك مرتاض) في كتابه النقدي الموسوم بـ: (تحليل الخطاب السردى) ؛ إذ يقول: «ويختلف الشخص عن الشخصية بأنه الإنسان، لا صورته التي تمثلها الشخصية في الأعمال السردية» .(22)

لا مناص - ههنا - أن طرق الناقد (عبد الملك مرتاض) لهذه المسألة التمييزية بين مصطلحي (الشخصية / الشخص) أضحى من الأهمية بما كان ؛ حيث إن « التصور التقليدي للشخصية كان يعتمد أساسا على الصفات مما جعله يخلط كثيرا بين الشخصية الحكائية (personnage) (...) و person الشخص» .(23)

على الرغم من تبني (عبد الملك مرتاض) لمقولة (ميشال زيرافا) التي تقضي بكون (الشخصية) مجرد علامة لغوية (دال / ومدلول) لا تتسحب إلى الوجود الواقعي ؛ إلا أن (ميشال زيرافا) قد أشار إلى تمثيلها (الشخص) كذلك ، وهذا الأمر نفاه (عبد الملك مرتاض) جملة وتفصيلا ، فقد عمد إلى إزاحة مقولة (الشخص) وأبقى على مصطلح (الشخصية) ، وقد نقل الناقد (حميد لحداني) هذه الرؤية التي تنص على أن «بطل الرواية هو شخص في الحدود نفسها التي يكون فيها علامة على رؤية ما للشخص (Personne)» .(24)

في هذا السياق يفصح (عبد الملك مرتاض) قائلاً : «أبعد كل هذا يمجد كافكا على أنه أول من منح الشخصية الروائية حرفاً أو رقماً ، لا اسماً كاملاً ، والحال أن آلاف الناس كانوا ينادون بالأرقام » . (25)

ثم لا يبرح الناقد أن يرسو على قاعدة التراثية ليدلل على اشتقاقات الاسم داخل الصرح اللغوي العربي ؛ والذي لا يرى في الاسم سوى علامة (Sign)؛ إذ يقول (عبد الملك مرتاض): « رأيت أن اشتقاق الاسم في اللغة العربية لم يأت في الغالب إلا من الوسم أي العلم .فأي حرج أن يطلق مطلق من كتاب الرواية ومدبجي الحكايات على شخصية من شخصياته علامة من هذه العلامات ، كما نطلق حروفاً معينة محرفة عن الاسم الأصلي الطويل» . (26)

إن كانت السجلات النقدية حامية الوطيس في اعتبار (الشخصية) كائناً حياً أو مجرد كائن ورقي لا يجيد عن حيز المنجز النصي، فإن نظرتنا لهذه المسألة الشائكة ستكون موافقة لما جنح إليه الناقد (بوعلي كحال) ، الذي يقول عن هذا المشكل السردية: «ومن المنظور السردية لا تفيد معرفة هوية الشخصية ، سواء أكانت من لحم ودم أو من ورق ، في تحليل وتفكيك البنية السردية وآليات اشتغالها » . (27)

أمّا فيما يختص بأنواع (الشخصية) والتي عكف الناقد (عبد الملك مرتاض) على تبيانها فقد انحصرت عنده في نوعين أساسيين ، وهما : (الشخصية المدورة) و(الشخصية المسطحة) ، علماً أنه لكلا المصطلحين مصطلحات موازية لهما.

* - الشخصية المدورة :

إنه لمن المعلوم أن الناقد (فوستر) هو من ابتدع هذا اللون من الشخصية ، لكن هذا لا يمنع من أن توجد مصطلحات موازية لها ، فتشتط عن هذا المسمى إلى مسميات أخرى ؛ من مثل : « (الشخصية الدينامية) أو (المحورية) أو (المعددة) أو (المتحركة) أو (المكتفة) أو (المتعددة الأبعاد) أو (المتغيرة) » . (28)

فيما يختص بالنقاد العرب الذين تعرضوا إلى هذا اللون من الشخصية فإننا نلفي - مثلاً - الناقد (إبراهيم فتحي) الذي اصطلح على مصطلح (Round character) بـ : (الشخصية الرئيسية) حيناً ، و(الشخصية المحورية) حيناً آخر؛ إذ يقول في هذا الصدد : «تعني الكلمة في أصلها اليوناني المقاتل الأول . وليس بالضرورة أن تكون الشخصية الرئيسية بطل العمل دائماً ، ولكنها دائماً هي الشخصية المحورية، وقد يكون هناك (...) خصم لهذه الشخصية» . (29)

لقد تعرض الناقد (إبراهيم فتحي) إلى مسألة اللاتعادلية بين مصطلحي (البطل) و(الشخصية الرئيسية) ؛ فدلل على ذلك بقوله : «ومن الأخطاء الشائعة اعتبار البطل (أو البطلة) الشخصية الرئيسية في القصة أو الفيلم أو المسرحية أو الرواية دون أن يتصف بصفات البطولة » . (30)

أمّا الناقد (عبد الملك مرتاض) فقد ثبت عند (الشخصية المدورة) المقابلة للمفردة الأجنبية (roundcharacter)، وقد سعى الناقد إلى الركون إلى قاعدة تميز بين الشخصيتين (المدورة / المسطحة)، انطلاقاً من مبدأ (المفاجأة) الذي ابتدعه كل من (تودوروف / ديكرو) .

عليه، فالشخصية السردية « إن فاجأتنا مقنعة إيانا فهي مدورة ، وأمّا إن لم تفاجئنا فهي مسطحة » . (31)

لا نحسب أن تبني مصطلح (الشخصية المدورة) من لدن (عبد الملك مرتاض) كفيل بأن يجمع عليها أتراهه؛ إذ يطلع علينا الناقد (إبراهيم فتحي) مبشراً بميلاد مصطلح مغاير له ، وهو ما تمثل عنده في (الشخصية التامة الممتلئة) الذي

خلص إليه عبر ترجمته للمفردة الإنجليزية (Round character)؛ إذ إنها تتصف بـ«عمق واضح وأبعاد مركبة وتطور مكتمل وقادرة على أن تدهش القارئ إدهاشاً مقنعا مرات عدة». (32)

لعل مكابدتنا في التحري والكشف عن الميزات التي تصطبغ بها (الشخصية المدورة) عند (عبد الملك مرتاض)، قد أفضت بنا إلى أن نثبت ذلك عبر معادلة رياضية - باصطلاح عبد الملك مرتاض - مؤداها الآتي :

الشخصية المدورة = شخصية (مركبة + مغامرة + رجاجة + غامضة + متغيرة) وعلى الرغم من تبني الناقد لمصطلح (الشخصية المدورة) الذي نقله عن الفرنسي (ميشال زيرافا)، إلا أن الاتكاء على المرجعية العربية التراثية في تدعيم هذا الاجتباء الاصطلاحي كان واضحا في مقولته التي مؤداها : «ونميل نحن إلى مصطلح ميشال زيرافا، وهو (الشخصية المدورة)، ونحن اخترنا هذه الترجمة؛ لأننا استوحيناها من التراث العربي؛ إذ كان الجاحظ كتب رسالة عجيبة وصف فيها شخصية نصفها حقيقي، ونصفها الآخر خيالي، وهي رسالة الترييح والتدوير الشهيرة». (33)

لعلنا نجد في مصطلح (الشخصية المدورة) الذي تبناه (عبد الملك مرتاض) ليجعل منه دالا معادلا للمصطلح الأجنبي (Round character) بديلا لفظيا يندو من دال (الدائرة) التي تتميز بالانغلاق والحيز المحدود. وبذلك فإنه لا يعقل - في نظرنا - أن تكون الشخصية الدينامية - الفعالة - منطلقة في محيط حيزي يتصف بالضيق والانغلاق .

عليه، فإننا نعتقد أن مصطلح (الشخصية المركزية) المصطلح الأنسب والأقرب إلى المفهوم الذي يتعلق بهذا الضرب من الشخصية؛ لأن (المركز) تتقاطع من خلاله مسارات المنجز السردية بشخصياته وأمكنته - أو أحيازه باصطلاح (عبد الملك مرتاض) - وأزمنته التي تتشكل على الخارطة النصية، ومن خلال المركز تتشطر سائر المكونات السردية من جهة، لتعاود التجمع والتراس عند من جهة أخرى .

* - الشخصية المسطحة :

لا ضير أن تحدد (الشخصية المسطحة) في شكلها العام باعتبارها « شخصية ذات بعد واحد، شخصية يمكن التنبؤ بسلوكها بسهولة، وتعد شخصية " مسزميكابور" في رواية تشارلز ديكنز " ديفيد كوبرفيلد " مثلا لهذا النوع من الشخصيات». (34)

بالإضافة إلى تلك الصفات التي وضعها الناقد (جيرالد برنس) لهذا اللون من الشخصية التي تتسم بكونها تحمل بعدا واحدا، ويمكن الكشف عنها ببسر، فإن الناقد (إبراهيم فتحي) قد سعى إلى أن يثبت خصائص أخرى تتميز بها، إذ إنها عنده « لا تتطور مكتملة، وتفقد التركيب ولا تدهش القارئ (...) ويمكن الإشارة إليها كنمط ثابت أو كاريكتار». (35)

انطلاقا من المقولات السابقة التي أشارت في شكلها العام إلى بعض ميزات هذا النوع من الشخصية؛ حيث إنها (ذات البعد الواحد)، (سهلة التنبؤ)، (غير متطورة)، (غير مكتملة)، فإننا نضيف لها بعض المسميات الأخرى، التي ساقها الناقد العراقي (أحمد رحيم كريم الخفاجي)؛ والذي يقول في شأنها : «ويدعو بعض نقدتنا هذه الشخصية بعدة مصطلحات مرادفة للسطحية هي (الشخصية الثابتة) أو (السكونية) أو (الثانوية) أو (ذات البعد الواحد) أو (الجامدة)». (36)

أما عن المعالجة النقدية التي خصصها لها الناقد (عبد الملك مرتاض)، فإنها تتأتى عبر المفاهيم التي ساقها لها؛ إذ إنها عنده « تلك الشخصية البسيطة التي تمضي على حال لا تكاد تتغير ولا تتبدل في عواطفها ومواقفها وأطوار حياتها بعامه ». (37)

بذلك يكون (عبد الملك مرتاض) محدداً لهذا الضرب من الشخصية عبر ميزتي (البساطة/ اللاتغير) ، ولا نحسب أن قد ضرب على وتر الجدة والجديد في كشفه عن مفهوم هذا المصطلح، لأن الناقد يظل ناقلاً أميناً -في نظرنا- لما أوضحه (فoster) بخصوص هذه الشخصية؛ إذ إن «المسطح من الشخوص يسميه " فوستر " بالثابت».(38)

على هذا فإن صفة (اللاتغير) التي أوماً إليها (عبد الملك مرتاض) تجد دالاً يضافها ويوزيها عند (فoster) والمتمثل في صفة (الثبات) ، وهو الأمر ذاته عند (جيرالد برنس) الذي يراهن على فك اللبس بين نوعي الشخصية عبر النظر إلى مبدأ (التغير/ التبدل)، وبذلك تكون الشخصية « دينامية حركية عندما يطرأ عليها التبدل، أو استاتيكية ساكنة عندما لا تكون قابلة للتغير».(39)

أمّا عن خاصية البساطة التي اصطبغت بـ(الشخصية المسطحة) عند (عبد الملك مرتاض)، فإنها تحيل إلى مبدأ السهولة في القبض عليها وتحديدها؛ إذ إن «مزية الشخصية المسطحة تتمثل في قابليتها لأن تعرف بسهولة ويسر».(40)

ليس بالجديد على الناقد أن يصنع المفاجأة النقدية؛ فيضرب على أوتار المصطلح الغرائبي - إن صح التعبير - ، فبعد أن أورد مصطلح (الشخصية الثانوية) التي توازي - المسطحة - حيناً وتتضاد مع (الشخصية المركزية) - أو المدورة باصطلاح مرتاض -، والتي دل عليها قوله: « نصادف الشخصية المركزية التي تصادي الشخصية الثانوية».(41) فإننا نجد مبدعاً لمصطلح محدث أسماء بـ: (الشخصية الخالية من الاعتبار)، أو كما يقابلها في الرسم الأجنبي (Personnage de compare)، أو كما اصطلح عليها بـ: (الشخصية العديمة الاعتبار) في سياق آخر .

وعليه، فإننا لا ننساق مع هذا الاصطلاح المحدث الذي يوازي (الشخصية الثانوية)، وذلك وفق اعتبارين :

1- إن التسمية التي وضعها (عبد الملك مرتاض) لهذا الضرب من الشخصية والموسومة بـ (الشخصية العديمة الاعتبار) لا تكاد تجد وفاقاً - في نظرنا - مع الشخصية الثانوية - أو المسطحة وغيرها - لأن حملها لصفة العدم قد تجعلنا نقف أمام ما يشبه إقصاءها الكلي أو اللوجودها .

2- إن الناقد لم يورد هذا المصطلح حين عنونته لضروب الشخصية ، أضف إلى ذلك أنه أوماً إليه دون البت في تفاصيل حده المصطلحي أو في مدلولاته المشحونة مفهوماً .

إن الذي يعزز مسألة عدم الاستقرار أو الثبات عند (عبد الملك مرتاض) في الإشارة إلى المصطلح الأقرب إليها، هو ما دل عليه الناقد ذاته بقوله: « بيد أن الشخصيات السلبية أو المسطحة، أو الثابتة (وهذه المصطلحات الثلاثة تكاد تعني شيئاً واحداً منها)».(42)

في ختام هذه القراءة النقدية التي حاولنا من خلالها أن نجوب رحاب المقولات التي خصها الناقد (عبد الملك مرتاض) لمكوّن (الشخصية السردية) ، فإننا نصل إلى خلاصة تتأسس وفق الآتي :

- ظلّ المنزع البنيوي السردى المثبت بمقولات أعلامه الفرنسيين خاصة واضحاً في معظم المقولات النقدية التي خصها الناقد (عبد الملك مرتاض) لمكوّن (الشخصية السردية) ، وكان يستحسن - في نظرنا - أن يعرض مفاهيمها داخل اتجاهات السرد المختلفة ، ثم يخلص إلى قراءة نهائية بعد استنباط واستقراء المفاهيم المتعلقة بها عنده ، بعيداً عن الانغلاق داخل الدائرة البنيوية ، وذلك انطلاقاً من المقولة التي مقتضاها «الضد يظهر حسنه الضد» .

- لا مشاحة أن تكون القراءة النقدية لمبحث (الشخصية) عند (عبد الملك مرتاض) متسمة - وفق تصورنا - بشيء من السطحية؛ لأن الناقد قد اكتفى بعرض ألوانها وأشكالها وبسط مسمياتها دون التدقيق في ظلال مصطلحاتها، وإقراره بالمفهوم الأقرب وهذا ما نجده جليا لات إقراره بأن صفات (السلبية/ المسطحة / الثابتة) تحيل إلى مفهوم واحد يقابل (الشخصية الثانوية) دون تقديم علامات التميز بينها.

مكتبة البحث :

- (1) سعيد بنكراد ، السرد الروائي وتجربة المعنى ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء، المغرب ، ط1 : 2008 . ص20
- (2) عبد اللطيف الطاهر زكري ، بناء المفاهيم النقدية ، (علامات) ، ج57، مج 15 ، 2005 . ص ص341 - 342
- (3) صلاح صالح، سرديات الرواية المعاصرة، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة ، مصر ، ط1 ، 2003 . ص ص 22 - 23
- (4) إبراهيم مصطفى وآخرون ، المعجم الوسيط ، المكتبة الإسلامية ، استنبول ، تركيا، (دط) ، (دس) ، ج1 ، مادة (ش خ ص) . ص475
- (5) ابن منظور ، لسان العرب ، دار صادر ، بيروت ، لبنان ، ط1 : 1997 ، مج3 ، مادة (شخص) . ص406
- (6) بطرس البستاني، محيط المحيط، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، لبنان، (دط) ، 1998، مادة (شخص) . ص455
- (7) جريدة حماش ، بناء الشخصية في حكاية عبود والجمام والجبل لمصطفى فاسي ، منشورات الأوراس ، الجزائر ، (دط)، 2007 . ص56
- (8) المرجع نفسه . ص57
- (9) حسن الأثلم، الشخصية الروائية عند حسين مصطفى ، مجلس الثقافة العام، سرت، ليبيا، (دط)، 2006 . ص62
- (10) عائشة بنت يحيى الحكمي، تعلق الرواية مع السيرة الذاتية، الدار الثقافية للنشر، القاهرة، مصر، ط1 ، 2006. ص91
- (11) فيليب هامون، سيميولوجية الشخصيات الروائية، تر: سعيد بنكراد، دار الكلام، الرباط، المغرب، (دط)، 1990 . ص15
- (12) المرجع نفسه
- (*) ينظر، حميد لحمداني، بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط3 ، 2000 . ص50
- (13) شوقي ضيف، البطولة في الشعر العربي ، دار المعارف ، القاهرة ، مصر ، ط2 ، 1984 . ص9
- (14) لطيف زيتوني، معجم مصطلحات نقد الرواية ، مكتبة لبنان ناشرون ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 2002 . ص35
- (15) المرجع نفسه . ص35
- (16) عبد الملك مرتاض ، في نظرية الرواية ، عالم المعرفة ، الكويت ، ع 240 ، 1998 . ص13
- (17) جبرالد برنس، قاموس السرديات، تر: السيد إمام، ميريت للنشر والمعلومات، القاهرة ، مصر، ط1، 2003 . ص13
- (18) عبد الملك مرتاض، تحليل الخطاب السردي . ص127
- (19) عبد الملك مرتاض، في نظرية الرواية . ص91
- (20) المرجع نفسه. ص76
- (21) المرجع نفسه. ص75
- (22) عبد الملك مرتاض، تحليل الخطاب السردي. ص126
- (23) المرجع نفسه
- (24) حميد لحمداني ، بنية النص الأدبي من منظور النقد الأدبي . ص50
- (25) عبد الملك مرتاض، في نظرية الرواية . ص268

- (26) عبد الملك مرتاض ، في نظرية الرواية . ص86
- (27) بوعلي كحال، معجم مصطلحات السرد. ص80
- (28) أحمد رحيم كريم الخفاجي ، المصطلح السرد في النقد الأدبي العربي الحديث ، دار صفاء ، عمان ، الأردن ، ط1، 2012 . ص379
- (29) إبراهيم فتحي ، معجم المصطلحات الأدبية . ص212
- (30) المرجع نفسه. ص69
- (31) عبد الملك مرتاض ، في نظرية الرواية. ص88
- (32) إبراهيم فتحي ، معجم المصطلحات الأدبية . ص212
- (33) عبد الملك مرتاض ، في نظرية الرواية . ص87 - 88
- (34) جيرالد برنس ، قاموس السرديات . ص70
- (35) إبراهيم فتحي ، معجم المصطلحات الأدبية . ص212
- (36) أحمد رحيم كريم الخفاجي ، المصطلح السرد في النقد الأدبي العربي الحديث. ص397
- (37) عبد الملك مرتاض ، في نظرية الرواية . ص89
- (38) إبراهيم خليل، بنية النص الروائي . ص43
- (40) جيرالد برنس، قاموس السرديات . ص30
- (41) إبراهيم خليل ، بنية النص الروائي . ص43
- (42) عبد الملك مرتاض ، في نظرية الرواية . ص87
- (43) المرجع نفسه. ص89